

# اللغة العربية ومقامها بين اللغات

لمحمد الصاوي عمار

لا يشك منصف في أن اللغة العربية من أكثر لغات العالم كلماً . وأثبتها قدماً . وأغزرها مادة . وأقومها جادة . وأصدقها حديثاً لما يجول في الضمائر . وتهجس به الخواطر . وأقواها بحارة للسان . وموافقة للزمان

لكنها على سعتها وجهالها . وكثرة مفرداتها . وحسن أسلوبها . قد منيت بطائفة من الأدباء يلمزونها، ولا تقع أعينهم منها إلا كما تقع أعين الغربان على الجيف ، فلا يزالون يصورونها بصور بشعة منكرة ، تتأذى بها الأسماع . وتنفر منها الطباع ، حتى عافها كثير من الناشئين، وانصرفوا عنها إلى فقايع من الاوضاع - هي بالعامية أشبه - زينها لهم أولئك الغارون بما ألبسوها من زخرف الالوان وبهرج الادهان، وقدموها اليهم كما يقدم السم في الدسم . فإذا ما قلبناها وجدناها ألقاظاً ميتة لا روح فيها ولا روثق عليها، فلا تكاد نشم منها ريح البيان العربي، وإن جاءت في صورته وأوضاعه ، بل هي إلى الرطانة الاعجمية أشبه منها باللغة العربية

وما للبيان العربي الحق إلا صور من الشعر المجزل، أو النثر البليغ ، تستحيل اليها نفس الشاعر المطبوع، أو النثر الضليع، في أقمصه من الالفاظ ، تكاد تلمسك شبح الموصوف إن كان « من المراثيات » أو تسمعك رنين أوتار قلبك إن كان من « الوجدانيات »

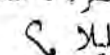
ولئن سألتهم ما الذي تنقمونه على اللغة العربية ليقولن ( جهودها وقدمها وعدم مماشاتها للروح العصرية وخلوها من الشعر القصصي (Epique) والتمثيلي (DPAM) وغير ذلك من ألقاظ آلية تتحلب بها أفواههم في مجال الذود عن بيضتهم والحض على دعوتهم ويقيننا - ويقين كل من عنده سلامة في التفكير ، وشيء من الذوق الصحيح - أنه ليس من الانصاف في شيء أن ترمى اللغة العربية بالقصور ، والجهود عن مسابقة العصور . وهي اللغة الولود التي هيء لها من ضروب الاشتقاق ما لم يتبها لأية لغة في العالم وهي مع ذلك ثابتة عليه دون أن يفعل في حروفها بل يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة . فمثلاً مادة (ض ر ب) تنفرع عنها عدة مشتقات مختلفة الدلالة فتقول « ضرب للواقع منه الضرب وضرب للواقع عليه وضرب الجرح أى اشتدأله ، وضرب

الله مثلاً، أى بين، وضربت ميعاداً أى حددت، وضربت فى الأرض أى سرت، وضربت القطن أى نذفته، وضربت الدراهم أى صنعتها، ولو غيرنا حركات هذه المادة فأسكننا حرف الراء منها لنتيج الأصل المتضمن معنى الحدث وهو « الضرب » و « الضرب » هو اسم للمطر وهو أيضاً اسم للرجل الخفيف وأيضاً هو صنف من الاشياء ولو فتحنا « الراء » أيضاً لصار « الضرب » وهو اسم للعسل الأبيض الغليظ وهكذا إلى آخر ما تدل عليه هذه المادة من المسميات ولو أشبعنا بعض حركات هذه المادة فقلنا مثلاً ( تضاربوا ) لقوم ضرب بعضهم بعضاً لا يكتفينى لاداء هذا المعنى ( باللغات الآرية ) أقل من أربع كلمات وتجد الانكليزي يقول ما لا يقل عن خمس كلمات وما الفرنسي أو الالماني أو اليوناني أو الرومانى بأوجز منه فى هذا البيان .

كما أنها من أحفل لغات العالم كلها بالكلمات المترادفة الكثيرة فى كل مناحى الحياة وال عمران . إذ فيها مئات من الاسماء لمسمى واحد فتقول فى ( الاسد ) ( سبع وليث وعصفور وهن وبروئبال وحيدرة وقسورة ) إلى آخر ما جاء فى أسمائه التى جمعها بعضهم فى كتاب يربى على المسائى صفحة . ولهذا المناسبة ذكر أن ( الخوارزمى ) دخل على أحد الولاة مرة فى عصره فقال أحد جلسائه ( أهذا هو الكلب الذى يتقحم على الملك فأجابه الخوارزمى قائلاً ( الكلب هو الذى لا يعرف للكلب مائة اسم مدحا ومائة اسم ذماً ويحفظ مائة قصيدة فى مدحه ومثلها فى ذمه ) (١) يدل بذلك على سعة علمه وبصره بلغة قومه

(١) لا نسلم بنسبة هذه الرواية للخوارزمى وإذا كان كاتب المقال نقلها من أحد المصادر فليعرفنا عنه . والذى نعرفه عن هذه الرواية هو أنها منسوبة لابن العلاء المعري وقد وردت فى المصادر التى رجعنا إليها بالرواية الآتية :

« دخل أبو العلاء المعري على المرتضى فعثر برجل فقال من هذا الكلب؟ فقال المعري الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً . وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه اقبالا كثيراً »

راجع « أبو العلاء وماليه ص ١٥٣ » « معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٦٩ » « بغية الوعاة للسيوطي ص ١٣٦ » « ثمرات الاوراق لابن حجة الحموى » « حياة الحيوان للمدبرى » « الصبح النبى عن غلطات المتنبي ج ٢ ص ٦١ » « نكت الهميان فى نكت العميان » وهذه المناسبة نقول حبذا لو أن الكاتب أسند كل استشهاده إلى مصادرها، وإلا أهملنا كل ما يرد لنا منه، فقد نشرنا له ما نشرنا، تشجيعاً له بعد الحاحه الشديد المتوالى، فليعذرنا القراء، ولعله بعد هذا يريحنا قليلاً  المحرر

كما أن فيها عشرات من الكلمات المختلفة التي تدل على معان متحدة وبالعكس أي « كلمات متحدة تدل على معان مختلفة » فنقول في معنى « الاعطاء » ( وصلته ورفدته ومنحته وحبوته . وخولته وأوليته وأصفيته وسوغته وأنحفته ونفله وأسبته وجبرته وأنلته وأجريت عليه وأسديت اليه وهكذا إلى آخر ما جاء في معنى ( الصلة ) ونقول في ( الابل ) ( والغنم ) ( ورق ) كما قال رؤبه

فاغفر خطايي وتمر ( ورق )

ونقول في ( الاطفال ) ( ورق ) كما قال ( هذبة بن الحشرم )

ترى ( ورق ) الفتيان فينا كأنهم \* دراهم منها جائزات وزائف

ونقول في ( الدية ) ورق وفي جمع الورقة ( ورق )

بل ان فيها كلمات كثيرة تدل على معنيين متناقضين بلفظ واحد أو متحدة النطق ومختلفة الدلالة أو تصلح ( للذم والمدح ) وذات ( الموصوف ) واحدة لم تنغير - فنقول ( جون ) للاسود والأبيض ونقول ( كلمتي ) أي حدثني ( وكلمتي ) أي جرحتنى كما تقول أيضا ( كل متني ) أي ظهري

نقول هذا ( بحاج ) النحل تمدحه \* وإن ذمت فقل ( قيء ) الذباير

مدحوا ذمًا وما جاوزت وصفهما \* حسن البيان يرى الظلماء كالنور

ذلك إلى ما فهم من ضروب الاعلال . والنحت والابدال وتنوع المجاز والاستعارة . والتشبيه والكنابة . مع مراعاة الإيجاز والتقصيد وإصابة الغرض وقوة المنطق . ولطف الإشارة . وحسن العبارة : كل ذلك واضح جلي في اللغة العربية في مظهرها النثر والشعر أنظر إلى الاعرابي الذي وقع أسيرافي بدأعدائه وهو يتجسس عليهم ، فحبسوه وألزموه بكتابة كتاب إلى - ملكه - يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم فكتب ما يأتي ( أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وقد استضعفتهم بالنسبة اليكم ، رأيت في أحوالهم ما يطيب قلب الملك ( نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام ) فلو تأملنا كلمة ( استضعفتهم ) لرأينا الاعرابي أراد بها ( التضعيف ) لا ( الضعف ) أي الزيادة لا الوهن كما لم يرد ( بقلب الملك ) ( فؤاده ) وإنما أراد منه قلب حروف جملة ( نصحت إلى آخرها ) وقلبها يكون هكذا ( كلهم عدو كبير عد فتحصن ) ولقد وقع للتميمي الشاعر العربي القديم ما وقع لذلك الاعرابي فكتب إلي قومه ما يأتي

حلوا عن الناقة الحمراء واقعدوا العود الذي في جنابي ظهره وقع

إن الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم يكر اذا شعبوا  
ومرذات ليلة عسس أحد الولاة في الدولة الأموية فعثروا في طريقهم على ثلاثة من  
الفتيان يجوسون خلال الديار — وكان الولى قد أمر ألا يخرج أحد من بيته بعد العشاء  
وكل من خرج يضرب عنقه — فاستوقفوهم وسألوهم عن نسبهم ومن أى البلاد هم فقال  
أولهم وكان ابن ( حجام )

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها  
تأتي الرقاب اليه صاغرة فيأخذ من مالها ومن دمها  
وقال الثاني وكان ابن ( فوال )

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود  
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود  
وقال الثالث وكان ابن ( حائك )

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت  
ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما إذا الخيل فى يوم الكريمة وات  
فقهوا أنهم من أشرف قبائل العرب وأن قتلهم يعرض الحكومة للأخطار  
واستصحبوهم إلى ( الولى ) ليرى رأيهم فلبسوا وقف على حقيقتهم أمر باطلاقهم .  
وكافأهم على حسن بيانهم وهكذا كانت سعة لغتهم . سببا فى خلاصهم ونجاتهم  
وما إن رأينا ولا سمعنا بأمة من الأمم حرصت على تهذيب لغتها . والدقة فى وضعها  
كلامه العربية فإذا كان قدمها هو الذى يغرينا بهدمها فهى ذى ( الأهرام ) لم يقل أحد  
بهدمها واستبدلها بغيرها — على طراز جديد — لأنها قديمة بل بالعكس ترى الناس  
يحرصون عليها ويعدونها مفخرة القدماء

وليس كل قدم ينبوذ يجب تركه والغدول عنه إلى جديد . فدقيق ( القمح ) لم نسمع  
بأنه وجد طعام أقدم منه . ومع ذلك ترى إجماع الخلق على اتخاذه قوتا لهم كما أن القدم  
لم يحل شيء عن طبعه ( فالسكر ) مثلالومكث آلاف القرون لم ينقلب ( مرا ) ( والحنظل )  
لوقبى أبد الدهر لم يصير ( زيبا ) يوما ما

على أن اللغة غايتها التفاهم وإيصال ما يريد المتكلم أو الكاتب إلى ذهن السامع أو  
القارئ . وهذه كلها أمور مردها إلى الذوق الانساني ومقتضى الفطرة البشرية . فما ذنب  
اللغة إذا كانت العلة فى الاحساس والتفكير !!!

كما وأنه ليست ( ألفاظها ) بصور لأعيان ( الموجودات ) في الخارج بل هي علامات لصورة الفكر في الذهن فانك لو سمعت لفظ ( محمد ) مثلاً أى رأيته مكتوباً على لوحة لا تدرك منه ما تدركه لو قدم مصور ( صورته ) الذهنية واذن فلاقديم ولا جديد في اللغة ودعواهم محض هذيان

ولقد دخلت اللغة العربية في أطوار كثيرة مختلفة الأزمنة والامكنة ومع ذلك فقد سايرت كل فكر . وجارت كل عصر . وخضعت لقوى الابتداع في الكلام . حسب ما يقتضيه المقام . وأيضاً لم نسمع بكتاب أو شاعر دعا نفسه - أودعاه غيره مجدداً وإن توخى في أسلوبه أوضاعاً لم تكن معروفة قبلاً . بل كل ماسمعه أن يقال ( الجماعة البدعية ) وهم الذين أدخلوا في كتاباتهم تحاسين ( البديع ) كسلم بن الوليد وأبى تمام وابن المعتز وأضرابهم كما يقال ( الجماعة الفاضلية ) على الذين ينتهجون نهج ( القاضي الفاضل ) كسراج الدين بن الوراق وأبى الحسين الجزار ومجير الدين بن تميم وألفافهم حقيقة إن اللغة العربية قعدت عن مسيرة العلم جنباً لجنب لأن أهلها لم ينتهوا للاختراع ، لكن ذلك لا يعيها إلا عيب والد ترك لابنه ثروة طائلة فلم يحسن استثمارها أو القيام عليها . وماذا على ( الطبيب ) لو قدم لك ( دواء ) فلم تستسغ شرابه ؟؟ وبعد فهذه كلمة أتينا فيها على دعوى جمود اللغة العربية وقدمها وسبيلنا إلى بيان بقية البحث كلمات تتلو إن شاء الله محمد الصاوي عماد مدرس بمدرسة مشال الأزامية

## كلمة عن لغة اليمنيين

بقلم الأديب على أحمد عيسى

كتب أحد حضرات الكتاب بجزء يونيه سنة ١٩٣١ من مجلة المعرفة كلمة من كتاب تحت الطبع يعده لتقديمه إلى مؤتمر المستشرقين بانجلترا .

ولقد أجهدت نفسي كثيراً في محاولة الوصول إلى حقيقة الكتابة المدونة على تلك الألواح مواروه ناقل الكلمات ، وفارقت بينها وبين التفسير المفهوم فلم أصل إلى نتيجة . وأكبر ظني أن تفسير هذه الكتابات يتعذر على غير أهل اليمن المعاصرين إذ ذاك أو

المتأخرين منهم الواقفين على أصل لهجات بلادهم

أما اللغة التي سمعها الاستاذين الركب المتجول الذي مر بقرية هند سنتين ليؤيد استنتاجه بأن لغة الاحجار المكتشفة باليمن لا تخرج عن ألباز أو عن لغة الآراميين الدخلاء الذين لم ترسخ قدمهم في العربية . أقول إن هذه اللغة التي سمعها في قرية قد استطعت أن أفهمها فهما جيدا بالرغم من أنها لا تبدو عربية ولا أعجمية وهي في الحقيقة عربية عامية مستعملة بكيفية مضللة للسامع والقارئ . . . أما عن تلاؤم رئيس الجماعة وادعائه بأن تلك اللغة يتوارثها الابداء عن الآباء فذلك أيضا لا يخرج عن التضليل والقول الهراء . وإليك الحل الذي توصلت به لفهم تلك اللغة :

يقول الرجل لابنته ( اسملى عتاب ) هاتان الكلمتان تؤديان معنى كلمة واحدة هي ( اسملى ) فهو لم يحدث شيئا سوى حذف حرف العين وهو الثاني في الكلمة ووضع بدلا منه حرف سين للتضليل وكان يستطيع أن يقول من باب التضليل أيضا ( اسملى ) و ( ارملى ) ( اكلى ) الخ وأعقب ( اسملى ) بأى كلمة خطرت له بشرط أن تبدأ بنفس الحرف الثاني المحذوف من الكلمة الاولى وهو العين فقال ( عتاب ) وكان يستطيع أن يقول من باب التضليل أيضا ( عمر ) و ( عائله ) و ( عنكبوت ) الخ . . . فلفهم ( اسملى عتاب ) يجب إسقاط الكلمة الثانية بعد أخذ أول حرف منها وهو العين ووضعه محل الحرف الثاني الذي جىء به للتضليل بالكلمة الاولى فتكون ( اسملى ) .

وعلى هذا النحو تفسر ( جهوه قر ) في كلام الرجل بإسقاط ( قر ) بعد أخذ القاف أول حرف في الكلمة الاولى فتصير ( جهوة ) واذن ( صلوه حنا ) كلمتان تؤديان معنى كلمة واحدة هي ( حلوه ) .

وإننا نلاحظ كيف يعتمد الرجل إلى الخداع في حديثه مع ابنته ليسد الطريق على أى محاولة لفهم لغته بتصرفه الغريب إذ يستبدل مرة بالحرف الثاني من الكلمة ويدل عليه بأول حرف من كلمة تالية كما في قوله ( سان فرفر ) ويعني ( فان ) أو يستبدل ثالث حرف في الكلمة ويدل عليه بأول حرف في الكلمة التالية كقوله ( الجيه بليل ) ويعني ( البيه ) أو ( واسعتي بالك ) ويعني ( وابعتي ) وهكذا . . .

فلكشف الحقيقة فقط أبعث إليكم بكلمتى هذه . وتفضلوا بقبول وافر الاجلال  
على أحمد عيسى طالب بكلية الآداب